

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للابحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع

ذات الصلة في قضايا الأمة والعالم العربي.

وهي إذ تنسع لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية

## «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم- الآيات التي استبدلت بآيات أخرى بإرادة الله» للدكتور حيدر حاج اسماعيل

## ناسخ ومنسوخ... والمعيار روحية التسامح القرآنية

تقوم «البناء» بنشر كتاب الدكتور حيدر حاج اسماعيل «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم - الآيات التي استبدلت بآيات أخرى بإرادة الله» والكتاب يحاول إلقاء الضوء على عدد من الآيات القرآنية التي جرى نسخها بما لا يتلاءم مع روحية القرآن الكريم المتسامحة خصوصاً ما جاء في سورتَي «السيف» و«القتال».

و«البناء» إذ تنشر هذا الكتاب لقناعتها بضرورة توكيد هذا العلم في القرآن، ما يأتي: «فإن ذلك أول ما يجب أن يُبدأ به من إلقاء الضوء على عدد من الآيات القرآنية التي جرى نسخها بما لا يتلاءم مع روحية القرآن الكريم، لا سيما أن التكتيريين يقومون بتوظيف هذه الآيات المشوّهة لتوظيفها في تبرير إرهابهم ووحشيتهم.

#### النسخ: تعريفه، وأنواعه المنظور الإيماني

يذكر العتائقي (المولود عام 699 هـ في الحلة – العراق) في مطلع كتابه: علم الناسخ والمنسوخ، وكان في سبيل إبراز أهمية هذا العلم في القرآن، ما يأتي: «فإن ذلك أول ما يجب أن يُبدأ به من علوم القرآن»، ثم ومباشرة، يقص الرواية الداعمة لوجهة النظر هذه، «قد روي عن أمير المؤمنين (علي عليه السلام) أنه دخل مسجد الكوفة، فرأى ابن ناب صاحب أبي موسى الأشعري، وقد تحلقّ الناس عليه يسألونه، فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: ملكك وهلكت، وأخذ آنه فقلتها وقال: لا تقصه في مسجدين بعد.»<sup>(1)</sup>

إذّن البداية الصحيحة لدراسة الدين الإسلامي تكون بدراسة ناسخه ومنسوخه. فما هو الذي نسخ وما هو الذي صار منسوخاً في القرآن؟ وقيل كل شيء، ما معنى الناسخ وما معنى المنسوخ؟

في كتاب حمل عنواناً مماثلاً، هو: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للبغدادي ثلّفي المؤلف معرفة النسخ بما يأتي، يقول: «إن النسخ في اللغة يفيد الإزالة، أو الرفع، أو التبديل، مثل نسخت المسموع من القل،» وهذا هو المعنى الذي يدخل ضمن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.<sup>(2)</sup>

بعد ذلك يصف العتائقي سور القرآن، التي تتألف من ستة آلاف آية، إلى أربعة أصناف أو مجموعات، هي:
– سور لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ، وهي ثلاث وأربعون سورة من أصل 114 هي سورة مجموع سور القرآن.<sup>(3)</sup>
– واما السور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ في ست سور.<sup>(4)</sup>

– والسور التي اشتملت على منسوخ ولم يدخلها ناسخ فعدها اثنتان وأربعون.<sup>(5)</sup>

– وأخيراً، هناك السور التي دخلها الناسخ والمنسوخ وعددها ثلاث وعشرون.<sup>(6)</sup>

والنسخ نضان: مكي ومدني. أما المكي فهو: «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون. وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مغتربل أكثرهم لا يعلمون»<sup>(7)</sup>
وأما المدني فقله تعالى: «ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ما ننسخ من آية أو ننسخها نأت بخير منها أو ملها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير.»<sup>(8)</sup>

ومعنى ذلك أن الله «تعالى» هو الذي قضى بالنسخ وأمر بتبديل عدد من الآيات، فهو على كل شيء قدير.

ذلك لجهة النصوص القرآنية بالنسخ.

منذ لجهة الأنواع الناسخة، فقد حدهها الله بآيتين، وكتلهاها من سورة التوبة المدنية، وهما: آية السيف وآية القتال. ونص آية السيف قوله تعالى: «إذا انسوخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتمهم وخذوهم واحصروهم.» والآية القتال هي قوله تعالى: «فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر»<sup>(9)</sup> وتجد الإشارة إلى أن آية السيف نسخت 114 موضعاً في 52 سورة بينما نسخت آية القتال ثمانمائة موضع في سبع سور.<sup>(10)</sup> تلخص مامر معنا حتى الآن بالقول، إن المصحف يحتوي على مجموعتين من الآيات: مجموعة الآيات المنسوخة ومجموعة الآيات غير المنسوخة، أي التي بقيت دون تبديل أو إزالة. مهمتها الآن هي النظر إلى طبيعة كل مجموعة. تعني الصفة المشتركة لآيات كل منهما. أو نقول، إن مهمتها هي الإجابة على السؤال: ما الذي يمكن أن تكون المميزة لآيات كل مجموعة بحسب معيار الموقف من الآخر؟

لنبدأ، بعرض نماذج من الآيات المنسوخة، وخاصة تلك التي مضموها بتعلق بالعلاقة بالآخر. في سورة البقرة، نجد أن الآيات الآتية قد نسختها آية السيف: «قولوا للناس حسناً» (آية 83). «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم» (آية 139). «لا اعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (آية 190). و«لا إكراه في الدين» (آية 256). أما الآية: «فأفغو واصفحوا حتى يأتي الله بامرء»، من السورة نفسها، فقد (آية 109) نسختها آية القتال.<sup>(11)</sup>

ومن سورة آل عمران نسخت آيسة السيف والآية 20، وهي: «وان تولوا فإيضا عليك البلاغ.» ونسخت آية القتال الآية 120، وهي: «وان تصروا وتقتلوا»<sup>(12)</sup>.

ونسخت آية السيف الآية 63 من سورة النساء، وهي: «فاعرض عنهم وعظيهم»<sup>(13)</sup>.

ومن سورة المائدة نقرا: «وما على الرسول إلا البلاغ» (آية 99) ونسختها آية السيف.<sup>(14)</sup>

ونسخت آية السيف أيضا الآية 99 والآية 108 من سورة يونس. الأولى تنص: «أفاننت تكرة الناس حتى يكونوا مؤمنين.» والثانية تقول: «فمن اهنتى فإنما يهنتى لنفسه.»<sup>(15)</sup>.

ومن سورة هود نسخت آية السيف حكم الآية 12، وهي: «إنما أنت نذير»<sup>(16)</sup>.

ومن سورة الرعد نسخت الآية 40: «فإنما عليك البلاغ المبين» بواسطة آية السيف.<sup>(17)</sup> وآية السيف أيضا نسخ الله الآية 89 من سورة الحجر ونسخها: «وقل إنني أنا النذير المبين.»<sup>(18)</sup>.

ومن سورة النحل الآية 125 التي تنص: «وجادلهم بالتي هي أحسن» (آية 54 من سورة سبحان، وهي: «وما أرسلناك عليهم وكيلاً»<sup>(19)</sup>).

ومن سورة طه، يأمر الله رسوله بالصبر. غير أن آية الصبر التي نسخها الله بآية السيف. والآية هي رقم 130، ونسخها: «فاصبر على ما يقولون»<sup>(20)</sup>.

ومن سورة الحج نسخ حكم الآية 49 بآية السيف.<sup>(21)</sup> ونسخها:

«قل يا أيها الناس إنما أنا نكم نذير مبين».

وآية السيف أيضا نسخت الآية 92 من سورة النمل، وهي: «فمن انتدب فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المذنرين»<sup>(22)</sup>.

ومن سورة العنكبوت نسخت آية السيف الآية 46، وهي: «لا تجادلوا أهل الكتاب إنبأاني هي أحسن»<sup>(23)</sup>.

ومن سورة الروم نسخت الآية 60 بواسطة آية السيف والآية تamar بالصبر، وهي: «فاصبر»<sup>(24)</sup>.

ومن سورة لقمان نسخت آية السيف الآية 23 ونسخها: «ومن كفر فلا يحرزك كفره»<sup>(25)</sup>.

ومن سورة السجدة نسخت الآية 30 بواسطة آية السيف،

## البناء

والسياسية وغيرها، تنشيطاً لدور الثقافة في الصيرورة الاجتماعية. علماً أن الآراء التي ترد على مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة لقناعات الصحيفة.

لإانه انطلاقاً من القناعة الراضحة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما

## «البناء» للمؤلف: قراءة في كتاب «البناء» للدكتور حيدر حاج اسماعيل



محمد سعيد العشماوي

الدروس الإسلامية كي يلقع الزلل وتلبيش سهام الشارحين من الشيوخ الأفاضل. وتزداد هذه الظاهرة تعقيداً، عندما نجد أن الشيخ الفاضل، وفي مجال سابق في الكتاب بنفسه عنوان: «الحكم الإسلامي خير للمسيحي من الحكم العلماني»، قد اعتمد على الآية المنسوخة نفسها مرتين متتاليتين. يقول في العرة الأولى: «فالإسلام ذو شعب أربع: عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وشريعة. فاما العقيدة والعبادة فلا يفرضها الإسلام على أحد. وفي ذلك نزلت آيتان صريحتان حاسمتان من كتاب الله: إحداهما مكية، والأخرى مدنية، في الأولى يقول تعالى مخاطباً رسوله الكريم (صلعم) «أفاننت تكرة الناس حتى يكونوا مؤمنين»، وفي الثانية يقول سبحانه في أسلوب جازم: «لا إكراه في الدين».

وفي العرة الثانية وهي الثالثة مباشرة، يذكر الشيخ ما يأتي: «وقد نزلت هذه الآية في شأن رجل من الأنصار كان لهم أبناء على الديانة اليهودية أو النصرانية، فأرادوا أن يجبروهم على تغيير دينهم إلى الإسلام، فنزلت الآية قاطعة مانعة «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي».<sup>(46)</sup>

وقصة اعتماد الشيخ القرصاوي لم تنته هنا، فهو يلجا إلى استعمال الآية المنسوخة ذاتها حتى في كلامه عن قضية الأحوال الشخصية والعلاقات الأسرية، في ما يتعلق بالزواج والطلاق ونحو ذلك. فيقول: «إنهم مخيرون بين الاحتكام إلى دينهم والاحتكام إلى شرعنا، لماذا؟ يجب: «وقد أمرنا بتزكهم وما يدينون «لا إكراه في الدين».<sup>(47)</sup>

أما الآية التي نسخت الآيتين اللتين تسلّع بهما الشيخ القرصاوي: آية «لا إكراه في الدين»، وآية «أفاننت تكرة الناس حتى يكونوا مؤمنين» فهي كما نذكر، آية السيف.<sup>(48)</sup>

وفي حوار مع السيد محمد حسين فضل الله، أجراه كمال اسطفان ونشرته جريدة «الديار» في 14/09/1989، يجيب على سؤال حول الدين الإسلامي والعنف السياسي، بما يأتي: «عندما نريد أن نتحدث عن الإسلام، أنه دين تبشيري، صحیح وهذا، لأنه دين جاء للناس كافة... دين توسعي، صحیح أيضاً، أنه يعلم على أن يحكم العالم كما أن كل صاحب فكر يعلم على أن يحكم العالم....».

بعد ذلك، يتكلم عن جهاد الخطئين: خط مواجهة الذين يمنعون حرية امتداد الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. وخط الجهاد بالدفاع عن النفس ضد المعتدين. «لانك عندما لا تواجه العنف الذي يقرض عليك بحدف مماثل أو بطريقة أخرى فإنك لابد من أن تتقدم موقعك في الحياة».

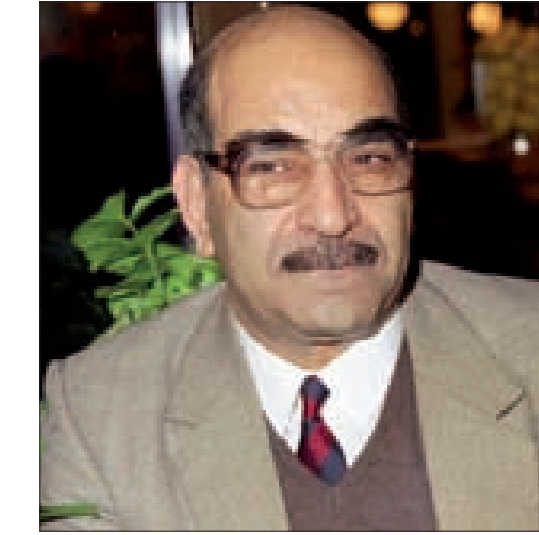
ثم يعضي في شرح هذه الأفكار بالكلام عن كيفية انتشار الإسلام فيقول، مما يقول: «فإننا نجد أن أغلب المواقع التي دخلها الإسلام لم يدخلها الفتح، وإنما دخلها من خلال الجانب الفكري التبشيري القائم على عدم الإكراه في الدين وعلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.» يلاحظ هنا، أن السيد الفاضل فضل الله يستند لتأييد أفكاره إلى آية، «لا إكراه في الدين المنسوخة».

في لقضية الآية المنسوخة: «لا إكراه في الدين» وغيرها من الآيات المنسوخة، فالفصل الرابع من القسم الثالث من كتابه: المسألة الثقافية الذي عنوانه: الأخلاقية الإسلامية ضد التطرّف، معقود للندليل على أن الإسلام «دين الوسط والاعتدال، دين التسامح والأخذ بالحكمة والتي هي أحسن». والآية المنسوخة التي يركز إليها الباحث هي قوله تعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن».<sup>(49)</sup> كما يستشهد بآية المنسوخة: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا

- 8 – سورة البقرة: آية 106.
- 9 – ابن البارزي، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، وتحفيق الدكتور حاتم صالح الزمان، مؤسسة الرسالة، 1983، ص. 22. آية السيف هي الآية 5 من سورة التوبة. وآية القتال هي الآية 29 من نفس السورة.
- 10 – ابن البارزي ص. 22.
- 11 – المرجع السابق، ص 26–23.
- 12 – المرجع السابق، ص 27.
- 13 – المرجع السابق، ص 28.
- 14 – المرجع السابق، ص 31.
- 15 – المرجع السابق، ص 36.
- 16 – المرجع السابق، ص 36.
- 17 – المرجع السابق، ص 37.
- 18 – المرجع السابق، ص 38.
- 19 – المرجع السابق، ص 39.
- 20 – المرجع السابق، ص 40.
- 21 – المرجع السابق، ص 41.
- 22 – المرجع السابق، ص 44.
- 23 – المرجع السابق، ص 44.
- 24 – المرجع السابق، ص 44.
- 25 – المرجع السابق، ص 45.
- 26 – المرجع السابق، ص 46.
- 27 – المرجع السابق، ص 46.
- 28 – المرجع السابق، ص 46.
- 29 – المرجع السابق، ص 47–48.
- 30 – المرجع السابق، ص 49.
- 31 – المرجع السابق، ص 50.
- 32 – المرجع السابق، ص 54.
- 33 – المرجع السابق، ص 55.
- 34 – المرجع السابق، ص 57.
- 35 – المرجع السابق، ص 57.
- 36 – المرجع السابق، ص 58.
- 37 – المرجع السابق، ص 59.
- 38 – المرجع السابق، ص 76–77.
- 39 – العتائقي، الناسخ والمنسوخ، ص 26.
- 40 – أحمد زكي صفوت، جهمرة رسائل العرب في

أكثرها، والتي تقرض نفسها على صاحب القرار والمتقف وقادة الرأي والمواطن في أي موقع كان، كانت صفحة الدراسات في «البناء» هي الترجمة العملية لهذه القناعة آملين أن تشكل هذه الصفحة مساحة فكرية .سياسية تعنى بهوم المواطن، تدرس الحاضر لترسم المستقبل.

## «البناء» للمؤلف: قراءة في كتاب «البناء» للدكتور حيدر حاج اسماعيل



الفيلسوف محمد عابد الجابري

بالتي هي أحسن» التي نسختها آية القتال. ثم بالآية: «لا إكراه في الدين».<sup>(50)</sup>

أما المستشار محمد سعيد العشماوي فقد اجتهد في فهم النسخ فجاء معناه الحقيقي الإجتهاð وهدا ما وجدناه في كتابه عن: الإسلام السياسي حيث حدد أصول الإسلام بأنها الرحمة والتسامح وعدم الغلو في الدين، وأن «جوهر الإسلام هو الحركة إلى المستقبل وصميمه التقدم المستمر لإنشاء حضارة إنسانية.» ويستدلى بظاهرة النسخ لتأييد وجهة نظره، فيقول: «إن ما حدث من نسخ آيات بآيات أخرى كلما جد جديد أو وقع واقع لا يعني مجرد نقل الناس من حكم إلى حكم، لكنه يفيد – في حقيقته – معنى الحركة المستمرة مع الوقائع والتقدم المتصل على الأحداث والفعل للشمط لتغيير الحياة.» ويضيف قائلاً: «لقد فهم المسلمون الأوائل أن هذه هي الأصولية الحقيقية للإسلام».

فالنسخ، حقيقة، هو في الاجتهدا بحسب الظروف. كذلك اجتهد العشماوي فميز بين قرآن الرحمة وقرآن السياسة أو بين الأصولية (الروحية) التي ينادي به ويدعو إليها الأصولية الحركية (السياسية). وذكر في معرض مقابله بين الأصوليتين أنهما تختلفان في خمس مسائل، هي: «الأسلوب المنهج في فهم ألفاظ القرآن الكريم، والطريق المتبع في تفسير آيات القرآن الكريم، ونظام السلوك في الحياة، والفهم الحضاري للدين، ووضع السلطة السياسية والمنتقفين في الدين».<sup>(51)</sup>

وكل ذلك، من أجل أن يؤكد مبدأ الاجتهدا فيعتمده لعرض اجتهدا. وسنده، كما أسلفنا منذ قليل، في ظاهرة النسخ. وكأني به يقول: «إذ كان الله مجتهداً، فلماذا لا يجتهد المؤمنون؟ كما يشير إلى أمثلة يعود تاريخها إلى الخلفاء. فقد منع عمر بن الخطاب زواج المتعة بالرغم من ورود نص قرآني حوله: «فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجرهن». كما يذكر أن الخليفة عمر أوقف حكم المؤلفه قلوبهم وأوقف حد السرقة.»<sup>(52)</sup>

وفي فصل خاص عن الجهاد، يتبنى الباحث تمييزاً حاداً بين الجهاد الأخلاقي من حيث هو أسلوب كريم وباعث قوي ودافع سام للارتقاء بالثات والسوق بالنفس والعلو بالروح ويشمل أيضا الدفاع عن النفس، والجهاد السياسي القتالي، وهو نوع الأول من الجهاد ويفرض الثاني. فيقول: «إن بعض نوّاد يرون أنه من الأيسر لهم أن يشهروا السيوف من أن يوحدوا الضمائر، وأن يعطروا الحروب من أن يتقوا القلوب، وأن يقتلوا الناس بدلاً من أن يحيوا الجميع، ولذلك فقد جعلوا من الجهاد سيفاً وحرباً وقتلاً، وفي الصحيح أنه ضمير قلب وحياة»<sup>(54)</sup>.

وفي إشارة منه إلى الحضارة العالمية ومحورها العالم الغربي، يرى الباحث أنها «لبيست كلها شرًا، ففي هذه الحضارة قيم رفيعة في النظام والنظافة والأمانة والدقة والتحديد والتخطيط والتعاون والدراسة والبحث وروح خدمة الغير»<sup>(55)</sup> وينتقد جماعات تجار التسييس لرفضهم القيم الرفيعة للحضارة في الوقت نفسه الذي يحصل فيه انكباب على منتجاتها المادية.<sup>(56)</sup>

خلاصة أطروحة كتاب العشماوي هي في أن القرآن كتاب روحي أخلاقي وليس كتاباً سياسياً. وعلى ضوء هذه الفرضية يعمل مجتهدا فيرى أن كل مفردات القرآن، حتى لفظ «الحكم» الواردة فيه، لا يفيد السياسة من قريب أو بعيد.<sup>(57)</sup>

##### عُداً حلقة ثانية

- عصور العربية الزاهرة، الجزء الأول، (العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام)، الطبعة الأولى، شركة مكتبة مصطفی البابي الحلبي بمصر، 1356هـ في 1937 م، ص 33–32.
- 41 – المرجع السابق، ص 38.
- 42 – المرجع السابق، ص 46. وذكره أيضاً، فالح حنظل، رسائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وموفدوه إلى ملوك وحكام الخليج ورشه الجزيرة العربية: البحرين، اليمامة، وعمان، ص 99.
- 43 – مجلة: «هذه سببلي»، العدد الأول، السنة الأولى، 1398 هـ، ص 75. وهذه المجلة يصفاها أصحابها بأنها ”مجلة علمية نصف سنوية تصدر عن المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية“.
- 44 – المرجع السابق، ص 76.
- 45 – قرصاوي، يوسف، بِنائات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409 هـ في 1988 م، ص 267.
- 46 – المرجع السابق، ص 236.
- 47 – المرجع السابق، ص 238.
- 48 – «لا إكراه في الدين» هي الآية 256 من سورة البقرة. والآية «أفاننت تكرة الناس حتى يكونوا مؤمنين» هي الآية 99 من سورة.
- 49 – الجابري، محمد عابد. المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص 136. الآية المشار إليها هي الآية 125 من سورة النحل التي نسختها آية السيف. انظر البارزي، ص 38.
- 50 – المرجع السابق، ص 137. انظر البارزي أيضاً، ص 44.
- 51 – العشماوي، محمد سعيد. الإسلام السياسي، طبعة ثالثة، سينا للنشر، 1992، ص 141.
- 52 – المرجع السابق، ص 138.
- 53 – المرجع السابق، ص 57–56.
- 54 – المرجع السابق، ص 117–116.
- 55 – المرجع السابق، ص 76–77.
- 56 – المرجع السابق، ص 77.
- 57 – المرجع السابق، ص 46.